صدى الحرية

أسبوعية ثورية اجتماعية توعوية منوعة

للتواصل وإرسال المشاركات :

Facebook / SadaALhoryeh ** freequd@gmail.com

فريق QMT قدسيا الإعلامي

صدى الحرية | العدد 83 | الجمعة 24 | تشرين الأول | 2014

تحرير أسعار

انشقاق محمد علي

ليس أمامنا خيار

الأطفال السوريون

التّعليم الشرعي

قوافل الشهداء

تحرير أسعار

في إطار إتمام عملية سرقة أموال السوريين وتجييرها لتمويل الحرب التي يقودها الأسد على سوريا، وفي خطوةٍ وصفتها إحدى المواقع المؤيدة بأنها "الخطوة الأجرأ حتى الآن على طريق تحرير المشتقات النفطية"، فقد ضاعفت وزارة النفط، في حكومة النظام، أسعار كل من مادتي المازوت والفيول للقطاع الخاص، وأبقت سعر البنزين على حاله. وصدرت الأسعار الجديدة في النشرة الأولى، التي تصدر أسبوعياً عن وزارة التجارة الداخلية، والتي أرفقت الأسعار الجديدة بقرارٍ مفاده أن أسعار المشتقات النفطية باتت في حكم "المحررة"، وسيتم تعديلها أسبوعياً، حسب الأسعار العالمية، وأسعار الدولار محلياً، أو سيتم تمديد النشرة السابقة، حسب ما ترتئي وزارة التجارة الداخلية.

وتضمن القرار الذي صدر بصيغة كتابٍ موجهٍ من وزارة النفط إلى وزارة التجارة الداخلية، تحديد سعر المازوت بـ 150 ليرة لليتر بدلاً من 80 ليرة، والفيول بـ 105 آلاف ليرة للطن بدلاً من 50 ألف ليرة، فيما بقي سعر البنزين بـ 140 ليرة.

القرار المذكور آنفاً ينطبق على جميع القطاعات الخاصة، "القطاع الصناعي والتجاري الخاص والسياحي والصحي الخاص والتعليمي والتربوي الخاص إضافة إلى المناطق الحرة والمؤسسات المالية الخاصة والسفارات والهيئات الدبلوماسية والمنظمات العالمية."

وبذلك تضرب حكومة النظام بعرض الحائط، كل طلبات و"توسلات" الصناعيين وأصحاب المنشآت الاستثمارية الخاصة، الذين حذروا من كارثة ستحيق بالقطاع الصناعي إذا تم تسعير المشتقات النفطية بالأسعار العالمية.

بكل الأحوال، يُجمع المراقبون على أن قرار رفع أسعار المشتقات النفطية للقطاع الخاص، لن يُضرّ بالأخير، بل سيُوضع حمله على عاتق المواطن ذي الدخل المحدود، وسينقل الصناعيون وأصحاب المنشآت التجارية والسياحية والصحية الخاصة، عبء التكلفة الجديدة إلى السعر النهائي للسلعة المباعة للمواطن. مما يعني أننا على عتبة نقلة نوعية جديدة في أسعار كل السلع والخدمات، بما فيها الخدمات الصحية في المستشفيات.

ما سبق أكده أمين سر غرفة صناعة دمشق وريفها، الذي أكد لصحيفة حكومية، وبصراحة، أن الصناعيين سيرفعون أسعار منتجاتهم، مُلمحاً، ضمنياً، إلى أن المستهلك سيدفع الثمن.

القرار الأخير كان قد سبقه قرار جريء آخر، صدر قبيل عيد الأضحى، رفعت حكومة النظام فيه أسعار المازوت والبنزين المخصصة للاستهلاك المنزلي والفردي.

لكن ما يجعل القرار الأخير أخطر من سابقه، أنه ترافق مع قرار تحرير أسعار المشتقات النفطية المباعة للقطاع الخاص، على اختلاف مجالات عمله.

وهكذا، ومع كل الأعباء الملقاة على عاتق السوريين من ذوي الدخل المحدود، وهم الغالبية العظمى من المجتمع، تُضاف الآن أعباء جسيمة أخرى. إذ يعتقد المراقبون أن القرار الأخير سيؤدي إلى ارتفاع ملحوظ في أسعار كل السلع والخدمات، وإلى انتعاش السوق السوداء للمشتقات النفطية، التي بدأت مظاهر تفاقمها تظهر للعيان.

والجانب الخطير الآخر لقرار حكومة النظام الأخير، أنه سيؤثر بصورة كبيرة على أسعار الخدمات الصحية، مما سيُقلص من الشريحة القادرة على الدخول للمستشفيات الخاصة، وسيزيد من الضغط على المستشفيات الحكومية التي تعاني أصلاً من ضغط مُزمن على مرافقها بسبب الكم الكبير من جرحى جيش النظام وشبيحته ورجال أمنه الذين يحتاجون للإسعاف بصورة يومية.

وكخلاصة، تتفاقم صعوبة عيش السوريين داخل البلد، فيما يبدو أن حكومة النظام تستقيل من معظم أدوارها الاجتماعية والاقتصادية، وسط تراجعٍ لقدراتها على ضبط الأمن حتى في قلب العاصمة دمشق، بعد أن تكررت حوادث الاشتباك المسلح بين الميليشيات المُقاتلة إلى جانب الأسد، ناهيك عن تكرر حوادث اختراق المعارضة المسلحة لمناطق في قلب العاصمة في عمليات خاطفة تُنذر بأن "المنطقة الخضراء" التي أسسها نظام الأسد في دمشق، ليست محصنة على الاختراق.

وهكذا يبدو أن المشهد الاقتصادي – الاجتماعي في الداخل السوري وبشكل خاص مع بوادر الشتاء القاسي المقبل إلينا، مُرشحٌ للمزيد من التفاقم، وسط تفاقم الوضع الأمني في معظم الجبهات.

نبيل شبيب

ليس أمامنا خيار سوى انتصار الثورة
ظلمات جولة باطلة ضد الثورات الشعبية

ليس سهلاً أن نرى في عتمة الظلمات ما وراء الأفق.. ورغم ذلك لن نستطيع دون ذلك أن نتحرك في مكاننا ونتلمّس وجهة سيرنا، ولا بد لذلك من أن نتجاوز بأحاسيسنا الصادرة عن اليقين، وبتوقعاتنا الصادرة عن المعرفة، جحافل الظلمات المتراكمة أمام أبصارنا.. هي ظلمات قصف همجي يومي.. وأبصار عمياء كقلوب أصحابها.. هي ظلمات آلام رهيبة صارخة.. وآذان صمّاء كعقول أصحابها.. هي ظلمات تحالف إقليمي ودولي.. ونزاعات رعناء بين المستهدفين به من أهلنا وأهل ثورتنا.. هي ظلمات أفاعيل من صنع إبليس وملئه.. تنسب إلى من ينتحل اسم ثورتنا أو عنوان إسلامنا.. ليس معظم هذه الظلمات من صنع أيدينا، ولم نملك الحيلولة دون صنعها، ولكن نملك أيدينا وأبصارنا لنصنع ما ينبغي أن نصنع كي نوجه أبصارنا وراء الأفق، ونرى من وراء الظلمات المتراكمة إشعاع نور يصنعه المخلصون من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وشمائلنا. . . لقد أطبقوا الخناق على معظم الثورات الشعبية أو يكادون، ولا يزال يوجد في كل بلد ثائر من الطاقات الشبابية الثائرة ما يؤكد أن المسيرة مستمرة، وأن بعد هذه الجولة جولات، أما في سورية فلم يصلوا إلى شبيه ما وصلوا إليه مع سواها، إنما يضعون الآن كل ثقلهم لهذا الغرض، ومن ذلك أنهم تحركوا ليقتحموا عرين الثوار المخلصين بإرهاب داعش فالحرب على إرهاب داعش، وليقتحموا عرين وحدة أهل الوطن الواحد، عبر زرع الألغام في قضية الأكراد.. وهم من أهل الوطن الواحد.. وتحركوا بالضجيج السياسي والإعلامي حول ما يصنعون مباشرة، للتعتيم على استمرار جرائم من يزعمون أنهم لا يرون له شرعية ولا قيمة. عندما يتحركون بأنفسهم، بطائراتهم ومستشاريهم وقنابلهم ومبعوثيهم وبأتباعهم وعبيدهم، ويستهدفون ثورة شعب سورية عبر بوابة استهداف العراق وأهله، أو داعش وإرهابها، فذاك ما يكشف أنهم لم يستطيعوا تحقيق أغراضهم في سورية خلال أربع سنوات ماضية اعتمادا على من يمكن أن يقوم مقامهم، كما جرى ويجري في مصر واليمن مثلا، أو كما يراد أن يتحقق في ليبيا مثلاً.. لم يجدوا من الثوار في سورية من يمكن أن يكونوا من "المعتدلين" أي من "المفصَّلين" على مقاس أغراض منظومة الهيمنة والتبعية، وهم لا ييأسون، فأصبحوا مع استهدافهم "جميع" الثوار، يعملون لصناعة "بديل" عنهم.. يحمل صفة "المعتدلين"، ،يتوهمون قدرتهم على ذلك خلال سنين، يقضونها في إثارة مزيد من ظلمات ما يصنعون بأنفسهم لحجب الرؤية عن أبصار الثوار المخلصين، ناهيك عن دعم وسلاح أو مجرد كلمة صادقة.

لا بد أن ندرك في مسار الثورة الشعبية في سورية.. أنها قامت ضد الاستبداد بجميع أشكاله، محلياً كان أم دولياً، إقليمياً كان أم عالمياً، وسواء تحالف أخطبوط الاستبداد المحلي مع شيطان أصغر أو شيطان أكبر، وسيان هل لبس عباءة إيرانية أو عربية أو قبعة أمريكية أو أوروبية.. لا بد أن ندرك.. أن مثل هذه الثورة الشعبية ضد مثل ذلك الاستبداد لا يمكن أن تنكفئ بسبب سقوط قناع ضاحك على وجه حاقد، وظهور تكشيرة عدو وراء بسمة صديق، ولا ينبغي أن تتوقف الثورة عن المسير كما لو أنها "فوجئت" بما تصنعه شرعة الغاب المهيمنة، مقابل حجم الأمانة الكبرى على عاتق الثورة، تجاه أهلها في الوطن الواحد، وتجاه أهلها في هذه المنطقة الحضارية الواحدة، وتجاه الإنسان ومستقبل الإنسان في هذا العالم والعصر.

ليس أمامنا خيار آخر سوى استمرار الثورة حتى يتحقق التغيير فهو النصر المطلوب.. أصبحنا مع الثورات الشعبية الأخرى التي أطلق عليها وصف الربيع العربي في "عنق الزجاجة"، فإما أن يكتمل خنقها ونعود وتعيش الأجيال القادمة.. أي أبناؤنا وبناتنا وأحفادنا وحفيداتنا، شبيه ما كنا عليه من موات الركون إلى واقع فاسد ظالم كريه، أو أن يستمر انفجار الإرادة الشعبية التي صنعت الثورات، فتنطلق من عنق الزجاجة طاقة لا حدود لها لإعادة كتابة سطور تاريخنا الحالي، لصناعة المستقبل.. مستقبل أبنائنا وبناتنا وأحفادنا وحفيداتنا. ليس أمامنا خيار.

التعليم الشرعي والنظام

التاريخ يعيد نفسه في المرة الأولى كمأساة، وفي المرة الثانية كمهزلة، هذه واحدة من المقولات المشهورة، وهذا ما يمكننا أن نصفَ به حال التعليم الشرعي في سورية في عهد حكومة البعث، ومنذ قيام الثورة في سورية تمَّ افتتاح أكثر من مئة مدرسة شرعيَّة في سنة واحدة، وهذه الظاهرة ليست غريبةً إنْ عَرَفْنَا السببَ الكامن وراءها، وكما يعلم الجميع فإنَّ سورية دولةً علمانيَّةً يُقْتَلُ فيها شاتمُ الرئيس الحقير من غير محاكمة، ولا يُلتَفَتُ بالحساب حتَّى بالتعزير إلى مَنْ يشتم الذات الإلهية في محفل عظيم من الناس، بل إنَّ كثيرا من كبار القادة العسكريين في عهد دولة الأسد كانوا يتباهون بالاعتداء على الذات الإلهية جهاراً في مزاحهم وفي جِدّهم، سبحان الله وتعالى عما يصفون، لا يصل إليه إلا الكلم الطيِّب، إنّما يؤخّرهم ليجعلَهم من بعد ذلك عبرةً لأولي الأبصار.

وإذا عرفنا مَنْ هُمْ طبقة الشيوخ المسؤولون عن تلك المدارس الشرعية؟ وكيف تتمُّ إدارتها؟ وكيف يجري غسيل أدمغة أبنائنا من جوهر الإسلام على صورته التي عرفها تاريخ الأمة الإسلامية الذي قضى رجالُه حياتَهم على الأرض ساجدين أو فوق صهوات الخيل مجاهدين، إذا عَرَفْنا كلَّ ذلك أدركْنا أنَّ تلك المدارس إنَّما أنشئت لتوكيد سلطة الحاكم والانصياع لأمره على مبدأ ﴿ **وأطيعوا أولي الأمر منكم** ﴾ لكن الآية واضحة في تصريحها بأن وليَّ الأمر المطاع هو (مِنَّا) وما دام الحاكم ليس (مِنَّا) بوصفه قاتلاً لشعبه وبوصفه غير مسلم، فإننا نقول إنَّه: لا طاعة له علينا، بحكم الآية التي صرَّحَتْ بلفظ ((منكم)) أمَّا فِقْه البراءِ والولاءِ الذي يحرِّفُه شيوخ تلك المعاهد فالإسلام منه براء، ومن درسَ الفقهَ يعرف صدقَ ما أقوله، ونحن هنا لا ندعو إلى التنطُّع والتشدُّد في الدِّين وتكفير المسلمين، لكنَّنا أيضاً لا نشهد على غير المسلم بأنه مسلم، وعلى القاتل بأنَّه ما قتل، وبأنَّه تجب علينا طاعتُه، فلا هو منَّا ولا نحن منه، وإذا كنَّا لا ندعو إلى التشدُّد في الدِّين فإنَّنا كذلك لا ندعو ونحن في هذه الحال من الذلّ لا ندعو إلى دِيْنٍ هزيلٍ يصنعه الشيوخ يستأصلون منه الشيوخ ذروةَ سنام الإسلام وهي الجهاد، ليصبح الأمرُ بالجهاد منوطاً بأمر حاكم ظالم قاتل وغير مسلم، وليصبح ذلك الحاكم هو الآمرُ بغير أمرِ الله.

ولكي تعرفوا من وراء تلك المدارس استمعوا إلى تسجيل (صوتي وتصويري) لذلك الشيخ الجليل الذي استطاع أن يحصل على اعتراف رسمي بالشهادة التي يمنحها المعهد الشرعي المسمَّى بمعهد الشام، وهو يُبَجِلُّ سَيِّدَهُ الرئيس المؤمن –على حدِّ وَصْفِهِ له– ثمَّ يقطعُ على نفسه وعداً لرئيسه قائلاً له: ((نَعِدكم يا سيادة الرئيس أن نُخَرِّجَ من هذه المعاهد جيلاً يَدِيْنُ بالولاء لكم، وهذا عهد قطعناه بالدم على أنفسنا)). تأمل عبارة: يدين بالولاء لكم!!!!

هذه المقالة تسلِّط الضوء على مثل تلك المدارس والمعاهد الشرعية التي بدأت تتكاثر على نحو يلفتُ النظرَ إلى ما خَلْفَها من أفكار تجتثُّ روح الإسلام لتجعل مكانه ديناً آخر مُحَرَّفاً يفرضه شيوخُ النفاق وحكَّام الباطل، دينٌ تفرضه مؤسسات ترتعد فرائصها من عودة أمجاد الأمة الإسلامية، دينٌ تغسل به أدمغة الطلاب لتصل إلى حدِّ التفريط بآيات الله في القرآن الكريم الذي حفظه الله من تحريف اللفظ، فسعى بعض المشايخ إلى إسقاط العمل ببعض آياته بحجة (العصرنة) فنراهم ((يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض)) يسعون إلى طمس جهاد الأمة، وتنشئة جيل لا يعرف من الإسلام إلا نواقض الوضوء وكيفية غسل الجنابة وأحكام الحيض، يبحثون عن تأصيل فكر إسلاميٍّ يزعمون أنها حضاريٌّ فقط لأنَّه يُحِلُّ الهمبرغر ويُحَرِّمُ الجهاد!!.

كذلك تسعى المؤسسات الرسميَّة إلى تأسيس إسلام يخدم توجهاتها، وهي تدعم شيوخَه لأنهم يدعمون أنظمة الحكم التي يقوم عليها حكّامٌ قَتَلَةٌ ظالمون ومجرمون، وإذا نظرنا إلى خيرة الشيوخ والأساتيذ الذين كانوا يدرّسون في تلك المعاهد نجد أنهم قد غادروها مستنكرين للحال التي وصلَتْ إليها من الانبطاح في حضن النظام والسُّكوت على مظلوميَّة الشعب السوريِّ الذي عانى ما عاناه من حكّامه الظالمين، إنَّ هؤلاء الشيوخ الذين تقاسموا حكمَ البلاد مع نظام فاشيٍّ ظالمٍ سوفَ يُحشرون معه، والمرء يُحشر مع من أحبَّ، وصدقَ شيخ الإسلام ابن تيمية حين قال: ((إذا تركَ الناسُ بعضَ ما أنزل الله وقعَتْ بينهمُ العداوةُ والبغضاء)) فكيفَ يكون الأمرُ بعد أن ترك شيوخنا أكثرَ ما أنزلَ الله في القرآن الكريم، وإن لم تصدقوا فاسألوا أولئك الشيوخ سؤالا واحداً فقط:

"لو أنَّكم أيها الشيوخ الكبار عقدتُم أمرَكُمْ على كلمةٍ واحدةٍ وألقيتموها في وجه بشار الأسد قائلين له: حفاظاً على الوطن ووحدةِ أرضِهِ وائتلافِ شَعْبِهِ على اختلافِ طوائفِهم نَعْقِدُ أَمْرَنا على كلمةٍ واحدةٍ أنْ تتركَ السُّلطةَ حفاظاً على سورية وأهلِها، فهلْ كانَتْ سوريَّة سوف تصل إلى ما وصلت إليه؟!!" ..هذا سؤالي لكم، فانظروا ماذا فعلتم؟!! حين نفختم في رأسه الأجوف أنه سَيِّد الوطن، في حين كان ينبغي عليكم أن تصفوه بخادمِ أقدامِ أطفالِ الوطنِ الذين قَتَلَهم ظلماً...

السَّلام على من اتَّقى، وليس عليكم ولا عليه السَّلام، وإنه لجهاد حتى النَّصر.

انشقاق محمد علي

للشعوب قصصٌ وحكايات وأساطير، وللشعوب تاريخٌ، وحضاراتٌ، ودولٌ، وللدول جيوشٌ، خاضت حروباً، وسطرت بطولات، وملاحم، وقامت بمجازر، وإبادات.

عند استعراض تاريخ الكثير من الدول القديمة، قد يبدو لأول وهلةٍ أن هذا التاريخ مختصرٌ بالحرب، والصراعات العسكرية.

بمجرد أن يُذكر اسم الدولة العثمانية، مثلاً، تهيم في المخيلة صور أربعمائة عامٍ من الحروب والمعارك، ويستدعي العقل كلمات، و أسماء مثل فتح القسطنطينية، وحصار فيينا، ومعركة جالديران، وغيرها.

الحديث عن الدولة الصفوية مشابه أيضاً، والمماليك، والمغول، يتوافق ذكرهم أيضاً مع استدعاء صور ذهنية متخيلة لمقاتلين، وفرسان، وخيول، ورماح، وقلاع، ومنجنيقات، وألسنة لهب لا تبقي ولا تذر.

مصطلح "الدولة الإسلامية"، ومصطلح "الخلافة" يتصاحب ذكرها بكلمات كالغزو، والفتح، وقد يتعزز ذلك الاستحضار بما تبثه وسائل الإعلام اليوم، وما تُظهره شبكات التواصل الاجتماعي لصور عمليات الإعدام، وقطع الرؤوس، والتفجيرات الاستشهادية/الانتحارية، التي ينفذها عناصر تنظيم الدولة الإسلامية "داعش"، وتساهم فضائياتٌ، وصحفٌ، ومواقع إعلامية عربية، ودولية في ترسيخ تلك الانطباعات، والصور الذهنية.

على أن الأمر لا يتوقف على الدول، والممالك التي ظهرت في منطقتنا، فذكر مدنٍ كأثينا القديمة، وسبارطة، والإمبراطورية الرومانية يرتبط حضورها، وتجليها بصور ومشاهد الحروب، وتتقدم أحياناً تلك المتخيلات على ما قدمته تلك المدن، والممالك من حضارة، وعلم، وفلسفة، وفن، وتساهم الميثولوجيا القديمة، الإغريقية، والرومانية الزاخرة بحكايات صراع الإنسان، والآلهة، والوحوش الأسطورية، في شحن تلك الصور، وزيادة تواردها في النفس، والعقل.

قد يكون سبب انشغالنا بتاريخ الحروب، والصراعات ضعفنا المزمن، ونشوؤنا في منطقة تعرضت بشكلٍ مستمرٍ للغزو، والاحتلال، وخضوعنا لأنظمة حكمٍ عسكريٍ، وقد يكون سببها أيضاً تنشئةٌ اجتماعيةٌ تُعلي مفاهيم القوة، والعنف، والذكورة على ما يقول أنصار الحركات النسوية، وقد ترجع إلى موروثٍ ثقافيٍ عامٍ –إسلاميٍ بالضرورة– يقسم العالم إلى دار إسلام، ودار حرب، ويحصر التفاعل بينهما بعلاقات الحرب، والقتال على ما يقول بعض الباحثين.

إلا أن الصراع من أجل البقاء، والصراع على السلطة، والصراع على الثروات، والموارد، والصراع على الحياة، صراعٌ أزليٌ، على المستوى الفردي، والجماعي، ولطالما استلزم الصراع حيازة القوة، واستخدام السلاح، ما يعني استحداث الجيوش، واندلاع الحروب.

الدولة ضرورة اجتماعية، وسياسية، وإنسانية أيضاً، والدولة لا تقوم إلا إذا كان لها جيشٌ يحمي وجودها، ويحفظ حدودها، ويكفل استمرار عمل مؤسساتها السياسية، والقانونية، والاقتصادية، وغيرها، والجيش هو أداة تستطيع بواسطتها السلطة إدامة فعاليات الدولة، وتثبيت حضورها، وفضلاً عن ذلك، فوجوده يحقق غايةً أساسيةً، ألا وهي حفظ أمن المواطنين الخارجي، والداخلي، وصون استقرارهم، وسكينتهم، فما يميز الدولة كنسق اجتماعي، عن بقية الأنساق الاجتماعية العامة، إنما هو احتكارها لـ"لعنف المشروع"، والذي تمارسه عبر الجيش بالدرجة الأولى، وعبر المؤسسات الأمنية، ومؤسسات إنفاذ القانون "الشرطة"، والتي يمكن اعتبارها امتداداً له، طالما أنها تستعير طريقة تنظيمه، ومسلكه العسكري في العمل، وطالما أنها تستهدف ذات الغاية –حفظ الأمن–، وطالما أنها عندما تعجز عن إنجاز المطلوب، أو التصدي للأخطار، فإنها تفسح له المجال، ليُحقق ما عجزت عنه.

ولما كان وجود الدول، وتجاورها ينطوي في أساسه، وحقيقته على علاقات صراع، وتنافس على الوجود، والمصالح، والثروات، والموارد، ولا يقوم على علاقات التعاون، والتكامل، كان من الطبيعي أن يتحول التنافس، والاختلاف إلى تشابكٍ، وصِدامٍ، يؤدي بالنتيجة إلى نشوب الحرب، وهي التي تعد بحسب المفكر العسكري الألماني "كارل فون كلاوزفيتز"، امتداداً للسياسة بطرقٍ ووسائل أخرى، وكان من الطبيعي كذلك، أن يجد قارئ التاريخ، أن ما عرفه العالم من فترات سلام، واستقرار، يكاد يكون حالاتٍ استثنائيةً، مقابل ما شهده من حالات حروبٍ، ونزاعاتٍ.

تمثل المؤسسة العسكرية العمود الفقري لجسد الدولة، تستند إليه بقية المؤسسات، وتتكئ على وجوده، لتستمر في حضورها، وإن كان هناك اختلاف بين الماضي، والحاضر على مكانة الجيش، وأهمية دوره، وموقعه، وخضوعه للسلطة السياسية، إلا أن

الواقع يفرض التسليم بمركزية المؤسسة العسكرية، وأهميتها الحاسمة لبقاء الدولة، واستمرارها.

إن استعراض تاريخ الجيوش في الدول القديمة التي يمكن تسميتها بـ''الدول الحربية'' كالإمبراطورية الرومانية، والإمبراطورية العثمانية، ومقارنتها بالجيوش في الدول الحديثة، تؤدي إلى نتيجةٍ مفادها أن ثمة اختلافاتٍ متعددةً، بسبب تغير الوظيفة الاجتماعية/السياسية للدولة، أولاً، وتغير طبيعة العلاقات الدولية، ونشوء التنظيم الدولي، الذي يقوم نظرياً على مبادئ، كالمساواة، والتعاون الدولي، والأمن الجماعي، وحقوق الإنسان، وتصفية الاستعمار، وحق الشعوب في تقرير مصيرها. لكن أوجه التشابه كثيرة أيضاً، فالدول الحديثة، والجيوش العصرية لا تكاد تختلف عن سالفتها، من حيث اندفاعها نحو شن الحروب. الجيش الأمريكي مثلاً، وهو أقوى جيوش العالم، سجله حافلٌ بالحروب، وسمعته ملطخة بفظاعات، وانتهاكات، ليس أقلها إلقاء القنابل الذرية على ''هيروشيما''، و''ناغازاكي''، ومجزرة ''ماي لاي'' في فيتنام، كما تتمتع بقية الجيوش الكبرى بسجلاتٍ لا تقل سوءاً عن نظيرها الأمريكي، سواءً خلال الحقبة الاستعمارية، أو في الحربين العالميتين.

على أن الأمر في الدول الضعيفة، والمتخلفة –ومنها الدول العربية– مغايرٌ، فللجيوش، والمؤسسات الأمنية فيها وظائف أخرى، فمعظم تلك البلاد تمتلك جيوشاً كبيرةً، لها ميزانياتٌ هائلةٌ، وموارد مالية، وإمكانات تجنيدية متعددة، وعقود تسليح ضخمة، لكن عقائدها العسكرية بالية، وسقيمة لأنها تتبع سلطاتٍ سياسيةٍ لا شرعية؛ فالأنظمة الملكية منها مثلاً، تعتبر حكمها حقاً مقدساً. أما الأنظمة الجمهورية فتعتبر أنها صاحبة حقٍ مطلقٍ، ودائمٍ في الحكم، إما لأنها شاركت في النضال ضد الاستعمار، أو لأنها قامت بانقلابات/ثورات ضد أنظمة ملكية ''مستبدة''، وغالباً فإن أنظمة حكم هذه الدول لا تحوز الشرعية السياسية، ولا تؤمن بالديمقراطية، ولا تنظر لأفراد الشعب كمواطنين للدولة، تقوم بخدمتهم، ورعاية مصالحهم، بعد أن تحظى بموافقتهم لممارسة السلطة، بل تنظر إليهم كأتباع، ورعايا بمفهومٍ قروسطي بدائي، فيما يُختصر تعريف أمن الدولة، ومصالح البلاد ''العليا'' بالدفاع عن الحاكم، واستمرار نظامه.

وكثيراً ما تبتلع الجيوش، والمؤسسات الأمنية، مؤسسات الدولة الأخرى، وتطغى على الدولة ذاتها، فتبدو وكأنها دولة داخل الدولة، أو دولة عميقة، تختفي خلف منظومات مؤسساتية شكلية، هشة، وطالما هذه الأنظمة لا تحوز الشرعية السياسية، فإنها تسعى لمراكمة قوتها العسكرية. ذلك أن التهديد الأساسي الذي تخشاه، لا يقع خارج حدودها، وعليه فإنها تعد جيوشها، لتكون أجهزة قتلٍ، وقمعٍ، لا مؤسسات قتالٍ وحربٍ.

لم تخض الجيوش العربية حروباً إلا ضد بعض جيرانها، أو ضد دولٍ عربيةٍ شقيقةٍ، أما حروبها مع إسرائيل فقد خسرتها جميعاً، فهي لم تُعد أصلاً لذلك، بينما نرى أن بعضها لم يقصر في ذبح مواطنيه، الجيش السوري، والعراقي، واللبناني أمثلة شديدة الدلالة على ذلك، وليس قتل تلك الجيوش لمواطنيها سببه تركيبتها الطائفية، على ما يظن البعض، ذلك أن الطائفية تعزز ولا شك اندفاع عناصر، ووحدات من تلك الجيوش لقتل فئاتٍ محددةٍ من المواطنين، والتنكيل بهم، لكنها ليست السبب الوحيد، أو الرئيس، ذلك أن تلك الجيوش كمؤسساتٍ، تقتل لأنها منظوماتٌ غير وطنيةٍ، تتبع سلطات سياسية غير شرعيةٍ. الجيش الجزائري غير طائفي، ومع هذا فقد قتل آلاف الجزائريين في التسعينيات، والجيش الليبي غير الطائفي قتل آلاف الليبيين، والجيش المصري اليوم يقتل المصريين، ونحسب أن الجيش السعودي، والإماراتي، والمغربي، وبقية جيوش العرب لن تقصر في قتل مواطنيها، فيما لو أُمرت بذلك.

انعدام الشرعية السياسية للنظم الحاكمة، ولا وطنية مؤسساتها العسكرية، والأمنية، بالإضافة إلى الاستبداد، وانعدام الحرية، والظلم، والطائفية، والسياسات الاقتصادية، والاجتماعية الفاشلة، تنتج مناخاً يساعد على ظهور تياراتٍ سياسيةٍ، أو شعبيةٍ تنتهج عنفاً مبرراً، للرد على ممارسات السلطة، أو تتخذه وسيلةً للخلاص منها، وتهيؤ الأجواء لتقبل أفكار تنظيماتٍ تنبذ عقائدها مفاهيم الشرعية السياسية، والانتماء الوطني، وتستبدلها بمفاهيم الكفر، والارتداد، وتستهدف أوضاع ما قبل دولتية، أو ما فوق وطنية كـ''داعش''.

في هذا السياق تبرز ظاهرة انشقاق الجنود، والضباط عن الجيش، كما وقع في سوريا، ولبنان مؤخراً كنتيجةٍ طبيعيةٍ، بل وإيجابيةٍ أيضاً، ذلك أن الجندي الذي تُصرف عليه أموال الشعب، لا يجوز أن يصبح أداةً تستخدمها السلطة لقتل الأبرياء، أو أن تلقي بها في حروبها العبثية، والخاسرة.

عام 1966، رفض الملاكم ''محمد علي كلاي'' الالتحاق بالجيش الأمريكي المتورط في فيتنام، وقال حينها: لا شيء يجبرني على الذهاب إلى بلادٍ غريبةٍ، لقتل أناسٍ غرباء، لم يفعلوا لي شيئاً، ولم ينادوني بالزنجي، حتى. حينها خسر ''كلاي'' لقبه، لكنه ربح إنسانيته، وربحته الإنسانية جمعاء.

الأطفال السوريون على حافة هاوية مجهولة

أحمد موفق

منذ اللحظة التي اعتقل فيها النظام السوري أطفال درعا الذين كتبوا على جدران مدرستهم الشعب يريد إسقاط النظام، ورَدَّهم إلى أهليهم مشوَّهِين، ومنذ أن سُلِّم حمزةُ الخطيب إلى أهله جثةً هامدة، تَهاوت أحلامُ الأطفالِ السُّوريِّين، ورُسِم لها مسارٌ لَمْ يَتَنَبَّأْ أَحَدٌ يومها بمدى فَدَاحَتِه.

لعل الطفل السوري، كان من أكثر ضحايا الحربِ التي قاربتْ أنْ تدخلَ عَامهَا الرابع في سورية، ويكفي لإدراك مَدى معاناته أن نعلم أن ضحايا القصف الكيماوي الذي قام به النظام في الحادي عشر من آب من عام 2013 كان أكثرُ ضحاياهُ من الأطفال الذين حرمهم الموت حتى من التلطخ بدمائهم.

ولكن الطفل الذي نُريد أن نَتَحدَّث عنه اليوم هو طفل آخر، طفلٌ لم يَخْتَر له القدر بعدُ انتقالاً إلى عالم الآخرة الذي ربما سيَمْنَحُه حياة أكثر رغداً، طفلٌ ارتمى بين رَحى الحرب التي دارت، ولم يعد بإمكان أحد أن يوقفها، ولربما ولد بينَ عَشِّيةِ تِلك الحرب وَضُحاها، وما زال يعاني من ويلاتها.

لقد اضُطر كثير من الأطفال مع عائلاتهم، أو من دونها، إلى النزوح عن مدنهم التي لم تعد آمنةً إلى مدنٍ سوريةٍ أكثر أمناً، أو إلى خارجِ البلاد، وفي كلا الحالتين يكون الطفل، هو الضحية الأكبر.

فعلى الصعيد التعليمي مثلاً يعاني الأطفال السوريون من كارثة حقيقية.

- تبين الإحصائيات أن مِنْ بين 5 ملايين و 365 ألف تلميذ في سورية، لم يلتحق منهم في الدراسة إلا 8.22% بحسب التقرير الذي أعدّه المركز السوري لبحوث السياسات.
- وإلى هذه الأرقام تشير الدراسة الإنكليزية المعنية بـ (توقف التعليم) والتي أُعدّت تحت إشراف (اليونيسيف) وبعض المؤسسات العالمية الأخرى، أن عدد الطلّاب السوريين المتوقفين عن الدراسة قد تجاوز 3 ملايين طالب.

وحين نتأمل هذا الرقم، والمدة التي أخذتها الحرب في امتدادها، والأفق المسدود للأزمة السوري، نعلم أننا أمام كارثة حقيقية تهدد جيلاً كاملاً بالأمية.

ناهيك أن كثيراً من الأطفال قد فقدوا من يعولهم، مما اضطروا أن يتحولوا إلى المعيلين الأساسيين لأسرهم.

أما الأطفال السوريون خارج سورية فليس حالهم أحسن من زملائهم في الداخل، فكثير من الأهالي عاجزون عن تسجيل أولادهم في المدارس التي تتقاضى أغلبها أجوراً عالية، وبعض العائلات تغامر بحياة أولادها راكبة البحر، الذي التهم كثيراً من الأطفال في مراكب الموت، كما بات يطلق عليها.

الأطفال السوريون أمام كارثة إنسانية نفسية من جانب آخر، فرسوماتهم كما يشير إلى ذلك أستاذ في مدرسة للاجئين السوريين في لبنان، أخذت منحىً آخر، فكل رسوماتهم تعكس حالة الحرب، و الدمار، وبعض الأطفال يرسمون أطفالاً يركبون دبابةً أو يحملون سلاحاً ، ولا شك أن لذلك انعكاسات عميقة على مستقبلهم، ونفسيتهم.

ناهيك أن النظام في سورية قد اعتقل كثيراً من الأطفال، واستخدم بعضهم دروعاً بشرية في المدن التي يقتحمها، مما يزيد المشهد قتامة وسوداوية.

أما خطاب الكراهية، والعنصرية، التي تمارسه بعض الأطراف، فيبدو أن الأطفال كانوا هم أهم ضحاياه فكلنا شاهد ذاك الفلم المرعب الذي يظهر فيه لبناني يهدد ثلاثة أطفال سوريين بالذبح، أو بتقطيع الأيدي.

إن ذاك المشهد على ما قيل فيه من أنه مزاح ثقيل يمارسه ذاك اللبناني، يعكس حالة من الكراهية السوداء ، التي لا بد أن يوضع لها حداً

السؤال الكبير الأطفال السوريين في ذمة من ؟

ما دور الأمم المتحدة ، ومنظمات الطفل العالمية

ما دور الحكومات التي تدعم الأطراف السورية المتقاتلة بالسلاح حتى التخمة، في حين لا تقدم أي دعم للأطفال، وتعليمهم.

ما دور العائلة، وكيف تسعى إلى حماية أطفالها، مما يهددهم

باختصار نحن بحاجة إلى جهدٍ جبار، من أجل أطفالنا.

فريق QMT قدسيا الإعلامي

قوافل الشهداء لن تنتهِ

منذ بداية العمل خصصت هذه الصفحة للحديث عن شهداء مدينة قدسيا الحبيبة، لم نقصد طيلة تلك المدة أن نُذكّر بهم فحسب، أو أن نمر عليهم كما نمر على حكايةٍ بلا هدفٍ ولا عبرة لمجرد أن نؤرخ لحدث، أردنا أن نتطرق لشيءٍ من معاني ما قدموه وما ضحوا به في سبيل الله تعالى مجاهدين وباذلين أرواحهم لرفع راية الحق، رأينا أن معظمهم يشتركون بصفاتٍ مميزة قبل الثورة ونمت وتطورت صورتها بعدها، بعضهم اكتملت فيه صورة الرجولة والقيادة، بعضهم زادته الثورة قوةً وإصراراً على الحق والمطالبة به فكان جندياً مقداماً، والبعض الآخر نقلته الثورة من عالمٍ إلى عالمٍ آخر أكثر رقياً وسمواً، والأهم أن الكل اجتمع على حب وطاعة الله تعالى ورسوله، هنا أتحدثُ عن الصفوة من هذه القافلة والركب.

تحدثنا أيضاً عن الكثيرين ممن طالتهم يد الإجرام بلا رحمةٍ ولا تمييز بين عجوزٍ مسن أو طفلٍ صغير، لنعرف أنه مهما ابتعدنا عن مسرح الأحداث ونأينا بأنفسنا فذاك الخطأ بحد ذاته، بل إن الخير كل الخير في اتخاذ موقفٍ واضح إن لم يكن معلناً فيكفي أن تؤمن به أفئدتنا امتثالاً لأمر النبي صلى الله عليه وسلم القائل: ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)).

ترتبط خيرية هذه الأمة ارتباطاً وثيقاً بدعوتها للحق، وحمايتها للدين، ومحاربتها للباطل، ذلك أن قيامها بهذا الواجب يحقق لها التمكين في الأرض، ورفع راية التوحيد، وتحكيم شرع الله ودينه، وهذا هو ما يميزها عن غيرها من الأمم، ويجعل لها من المكانة ما ليس لغيرها، ولذلك امتدحها الله تعالى في كتابه العزيز حين قال : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾.

وعلاوة على ذلك فإن في أداء هذا الواجب الرباني حماية لسفينة المجتمع من الغرق، وحماية لصرحه من التصدع، وحماية لهويته من الانحلال، وإبقاءً لسموه ورفعته، وسبباً للنصر على الأعداء والتمكين في الأرض، والنجاة من عذاب الله وعقابه .

مهما تحدثنا عن حياة الشهداء فلن ننتهِ، إذ فيه الكثير لنتعلمه، لكن أن نتعلم منهم روعة المطلوب والجد بالسير إلى حياةٍ حقيقية بالقرب من رب البرية لهي النجاح والفلاح بأسمى صوره ويكفيهم أن الله تعالى قال فيهم: ﴿ أحياءٌ عند ربهم يرزقون ﴾.

في الختام بلاد الشام لا تزال تنجب الأبطال المجاهدين والأمة غنيةٌ لا تنضب ولا تبخل بتقديم فلذات أكباده في سبيل الله وهذا ما يعرفه عدونا وينبغي أن ندركه بدورنا.

نسأل الله تعالى أن يبلغنا هذه المنزلة، وأن يجمعنا بمن سبقنا.

شهداؤنا في الذاكرة دوماً... لن ننساكم حتى نلحق بكم .

كاريكاتير العدد